تقدير استشرافي ٢٠٢٤

متابعات

٣٠ كانون الأول

انهيار النظام السوري في المنظور «الإسرائيلي»

تحرك سريع ورؤية للمستقبل

إعداد: مرصد مركز براثا

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

تَقْدِيرٌ اسْتِشْرافيّ: اِنهِيَارُ النِّظَامِ السُّورِيّ فِي المَنظُورِ «الإسرائيلي»
تَحَرُّكٌ سَرِيعٌ وَرُؤيَةٌ للمُستَقبَلِ

-أ. د. أحمد عَدنان كاظم الكناني-

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

©جميع الحقوق محفوظة للمركز

انهيارُ النِّظَام السُّوريّ فِي المَنظُورِ "الإسرائيلي" تَحَرُّكٌ سَرِيعٌ وَرُؤيَةٌ لِلمُستَقبَلِ

◂ إعداد: مرصد مركز براثا

شكَّل الثامن من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٤، والإعلان عن سقوط النظام السوري وسيطرة "جبهة تحرير الشام" والمليشيات المسلحة المدعومة تركيًّا على سورية، نقطة تحول مفصلية في المنظور "الإسرائيلي" تجاه ما كان يعرف بجبهة المقاومة، فالاحتلال "الإسرائيلي"، الذي كان يحاول تفكيك المعادلة عبر سنوات عدة وجد نفسه الآن أمام تحولٍ سريعٍ، هذا التحول بغض النظر عن معطياته وظروفه، لكنَّه دفع إلى سرعة التحرك "الإسرائيلي" للاستثمار في أبعادٍ عدة، وترجمتها على الأرض من خلال السيطرة على مساحات من الجغرافيا السورية، علَّها تكون البوابة التي تساعده فيما بعد لفهم إستراتيجية البناء على التحول السريع.

تستعرض هذه الورقة الرؤية "الإسرائيلية" للتحولات في سورية والمنظور الإستراتيجي لها انطلاقًا من محطتين؛ الأولى: السلوك والممارسة "الإسرائيلية" على الأرض في اليوم التالي لما بعد ٨ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٤. والثانية: تستعرض القراءات والنقاشات الأمنية والإستراتيجية "الإسرائيلية" حول مستقبل سورية انطلاقا من التحديات والفرص للتأثير "الإسرائيلي".

وانطلاقًـا من المحطتين السـابقتين، فإنه لا بد مـن التعريج على المنظور "الإسرائيلي" لسـورية تاريخيًـا، فقد وصفت العَلاقة بـين "إسرائيل" والنظام السـوري بالمسـتقرة نسـبيًا رغم العداء التاريخي، الحفـاظ على "هدوء غير معلن" على الحدود منذ اتفاق فكِّ الاشـتباك عام ١٩٧٤ مع بقاء حالة الدعم غير المعلن للنظام السـوري لفصائل المقاومة الفلسطينية وحزب الله وجبهة المقاومـة. وبدأت هنـاك بعضًا من المتغـيرات التي تدخـل إلى الواجهة ما بعد دخول مرحلة الصراع السـوري الداخـلي في أعقاب عام٢٠١١، وبدأت "إسرائيل" تتخذ من حالة عدم الاستقرار ومن الغطاء الروسي فيها منفذًا لبعض الضربات والغارات وعمليات الاغتيال غير المعلنة بشكل مباشر، إلا أنَّ هذا المشهد بات يتعمق أكثر وبشكل أوضح ما بعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٢٣، وبدء الحرب "الإسرائيلية" على غزة في أعقاب معركة طوفان الأقصى، حيـث بدأت تنتقل "إسرائيل" من إسـتراتيجية "الـردع" إلى محاولة الهروب للأمام واستدراج إيران وأمريكا إلى معركة طوفان الأقصى، واتخذت إجراءات تمثلت في اسـتهداف قيادات في الحرس الثوري الإيراني في سورية، ومبنى القنصلية الإيرانية في دمشق، وعمليات اغتيال لقيادات فلسطينية ولقيادات في حزب الله على الأراضي السورية، ثم عملية الاغتيال لرئيس المكتب السياسي لحركة حماس (إسـماعيل هنية) في طهران، وصـولاً إلى العدوان على لبنان واغتيال الأمين العام لحزب الله (السيد حسن نصر الله).

ما يهم في هذه المحطة، ما نشره (عميت يغور)، وهو ضابط استخبارات "إسرائيلي" متقاعد ومحلل عسكري إستراتيجي في مقال له في صحيفة معاريف في آب/أغسطس ٢٠٢٤، أي ما قبل التحولات في سورية بشهرين، تطرق فيه إلى الرؤية الأمنية "الإسرائيلية" تجاه النظام السوري، حيث تزامن نشره للمقال مع استمرارية الحرب على غزة ولبنان، إضافة للضربات "الإسرائيلية" ضد أهداف متعددة لجبهة المقاومة، وأشار فيه إلى أهمية سورية كحلقة أساسية في هذا المحور باعتبارها "القاعدة المحورية لنفوذ إيران وحزب الله". وأكد (يغور) أن التعامل مع سورية أصبح ضرورة إستراتيجية لإعادة صياغة الأوضاع في الجبهة الشمالية، داعيًا إلى تقويض النظام السوري وإخراج سورية من المحور(١). وبالتالي من المنظور "الإسرائيلي" يمكن اعتبار انهيار النظام السوري يمثل تحولًا استراتيجيًا يعيد رسم موازين القوى الإقليمية، وهذا ما قد يفسره سرعة التحرك "الإسرائيلي" لإعادة التأسيس لنظام جديد يخدم رؤيتها في المديين: القريب والبعد.

وتطبيقًا لهذا المنطلق، فقد نفَّذ الاحتلال "الإسرائيلي" ثلاثة أنواع من التدخلات العاجلة:

---

١ - عميت ياغور، "إنشاء محور فيلادلفيا شمالي: المفتاح لشل إيران وحزب الله الموجود في سورية"، صحيفة معاريف، (٢٠٢٤/٨/١٧). على الرابط:
<https://www.maariv.co.il/news/military/article-1125518>

أَوَّلًا: تَدمِيرُ المُقَدَّرَاتِ العَسكَرِيَّةِ لِلجَيشِ السُّورِي: لم ينتظر الاحتلال «الإسرائيلي» وقتًا ليتخذ قرارًا نافذًا مباشرًا لتدمير القدرات العسكرية الإستراتيجية للجيش السوري، ففي يومي ٨ و٩ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٤، شن هجومًا جويًا واسعًا أدى إلى تدمير ٨٠٪ الطائرات، أنظمة الدفاع الجوي، السفن الحربية، ومخازن الأسلحة الإستراتيجية ومراكز الأبحاث العسكرية. هذا الإجراء يمكن أن يعطي حريةً أكبر «إسرائيليا» لأي تحرك مستقبلي على الأرض أو في الأجواء السُّورية. أو عدم السَّماح في إمكانية أن تتحول هذه القدرات العسكرية إلى أيّ طرف في ظل حالة عدم الاستقرار السُّوري الداخلي وبالتالي تهديدًا مستقبلاً حتى وإن كان في حدّه الأدنى.

ثَانِيًا: إِلغَاءُ اِتفَاقِيَّةِ فَكِ الاشْتِبَاكِ لِعَامِ ١٩٧٤: وهي الاتفاقية النَّاظمة لشكل العلاقة الجغرافية ما بين الاحتلال «الإسرائيلي» والأراضي السورية، فإعلان إلغاء الاتفاقية يحقق لـ«إسرائيل» مجموعةً من الأهداف المرحليَّة: أولها، الادعاء بعدم وجود نظام سياسي سوري، وبالتالي التسويق لحالة الفراغ. والثاني، حرية إعادة الاحتلال للمناطق في العمق السوري تحت ذريعة الأمن والمناطق العازلة. والثالث، تحويل هذا الوجود "الإسرائيلي" المؤقت بحكم الظروف المتسارعة إلى وجود دائم يمكن أن يكون جزءًا من الأوراق السياسية للمساومة بالمواقف، أو للتدخل في إعادة بناء النظام السياسي الجديد، إما باللعب على متناقضات الطوائف والتيارات السياسية والدينية، أو من خلال

خلق حالة من الفوضى التي يمكن أن تبقي على حالة الانشغال الداخلي في سورية بالقضايا المحلية دون النظر للاحتلال على أنه جزءٌ من معادلة العداء.

هذا الإجراء يعني أنه ما بعد الوصول إلى حالة الاستقرار السوري داخليا بعد تشكيل الحكومة والجيش والنظام السياسي الجديد، والذي بطبيعة الحال سيحتاج الكثير من الوقت، يتطلب منها فتح مسارٍ تفاوضي مع "إسرائيل" بشكل مباشر أو برعاية إقليمية أو دولية حول الحدود والمناطق التي تم احتلالها، إضافةً إلى ذلك سيَطرح السؤال مجددا حول مصير الجولان الذي أعلن)ترامب) في ولايته السابقة الاعتراف بسيادة "إسرائيل" عليه، ما يعني أنَّه مع عودة (ترامب) مرةً أخرى لن يكون هناك أي تغيير للموقف الأمريكي، وهذا يفتح المجال ربما أيضا إلى تعزيز المشروع الاستيطاني "الإسرائيلي" على حدود سورية؛ إذ إن (نتنياهو) وحكومته أعلنوا بشكل واضح عن دعم بقيمة ٤٠ مليون شيكل لتوسيع الاستيطان في الجولان السوري المحتل(١).

ثَالِثَاً: الاِحتِلَالُ المُبَاشِرُ لِأَرَاضٍ سُورِيَّة إِضَافِيَّة: شرع الجيش «الإسرائيلي» في احتلال أراضٍ سُورية بلغت مساحتها ٤٤٠ كم^2 (حتى تاريخ كتابة

1 - MEM, "Israel approves plan to expand settlements in occupied Syrian Golan Heights", in Middle East Monitor, December 16, 2024: <https://www.middleeastmonitor.com/20241216-israel-approves-plan-to-expand-settlements-in-occupied-syrian-golan-heights/>

المقـال)، بما في ذلك قمة جبل الشـيخ ذات الموقع الإسـتراتيجي، وشرع في إنشـاء منظومة اسـتخباراتية ومنظومة إنذار من شـأنها أن توفر للاحتلال قدرةً كبيرةً معلوماتية واسـتخبارية على كامل المسـاحة السورية ولبنان. هذا التحرك يمكـن أن يفهم بإطاريـن: الأول، وهو الأمني الاسـتخباراتي الذي تحاول «إسرائيل» أن تقدم من خلاله الاحتياج الأمني كدافع لهذا السـلوك. ولكن يبدو أن هناك أيضا بعدًا مرتبطًا بالرؤية السياسـية المستقبلية لإسرائيل المنطلقة من أنَّ السيطرة على الأرض السُّورية أو أجزاء منها يمنحها التأثير في إعادة بناء المحاور والتوازنات السياسية في منطقة الشرق الأوسط، وهو ذات الهدف الذي يلتقي إلى حد بعيد مع ما يروج له (بنيامين نتنياهو) حول الشرق الأوسط الجديد الذي بدأ يتشكل. سيَّما أن المساحات المحتلة حديثًا تتجه نحو الحدود العراقية ونقطة الالتقاء (الأردنية – العراقية – السورية)، كما أنها تعدُّ المناطق المحتلة مصدرًا لـ٩٠٪ من المياه العذبة في الجنوب السوري.

مَا تُوَفّرُهُ التَّدَخُلَات الثَّلَاث لِـ«إسرائيل» فِي المَدَى المَنظُور:

١. ضمانٌ للتفوق العسـكري لجيش الاحتلال «الإسرائيلي» لأطول فترة زمانية مستقبلية مع ضمان تدمير القدرات العسكرية للجيش السوري، وضمان عدم القدرة على إعادة بناءِ أيّ قدراتٍ عسكريةٍ لسـنوات طويلة سـيَّما أنَّ البلاد قد تدخل في مراحـل إعادة بناءٍ

لحالتهـا المدمَّرة إضافة إلى الحضور من الأطـراف الفاعلة التي قد ترسم مشـهد المسـار المسـتقبلي ضمن المصالح الإقليمية والدولية.

٢. فتح المجال الجوي السـوري بأريحية أمام أيّ مناورات عسكرية «إسرائيلية» مستقبلاً، سواء مرتبطة بأي من الأهداف على الأرض السُّـورية، أو اللبنانية، أو العراقية، أو إن قـررت «إسرائيل» تنفيذ ضرباتٍ للبرنامج النووي الإيراني.

٣. ضمان قطع الطريق على خطوط الإمداد التي كانت تمثل الشريان الأساس للمقاومة الإسلامية في لبنان، وبالتالي يجعل "إسرائيل" قـادرة على تطبيق قرار وقف إطلاق النـار الذي وُقِّعَ مع لبنان من منطلق قوة وفرض واقع يخدم المنظور "الإسرائيلي".

٤. إنهاء الوجود التقليدي لفصائل المقاومة الفلسطينية المسلحة التي كانت تتخذ من الأراضي السُّورية معسكرات للتدريب والإعداد، وهو ما يعني "إسرائيليا" تقليص المساحات الإقليمية التي كانت تشكل حاضنة للعمل المقاوم الفلسطيني.

٥. فرض "إسرائيل" لرؤيتها السياسـية المستقبلية في شكل وطبيعة العلاقـة والانطلاق لأي تفاوض مسـتقبلي مـن أوراق قوة على الأرض.

الرُّؤْيَةُ «الإسرائيلية» لِمُستَقبَلِ العَلَاقَة

تناقش مراكز الأبحاث «الإسرائيلية» مستقبل سورية من زاوية الفرص والتحديات. فمن جهة، ترى «إسرائيل» في انهيار النظام السُّوري فرصة لتقويض ما تسميه «المحور الإيراني»، ومن جهة أخرى تخشى أن يؤدي الفراغ السياسي إلى صعود جماعات متطرفة أو نشوء فوضى أمنية على حدودها.

وَيُمكِنُ إبرَازُ أَجمَلَ الفُرَصِ فِي المَنظُورِ الإِستِرَاتِيجِي «الإسرائيلي» مِن خِلَالِ:

١. تعطيل الإمدادات الإيرانية لحزب الله وتقويض قدراته العسكرية: إذ يرى الاحتلال «الإسرائيلي» أنَّ وَاحِدَةً من أهم الفرص التي فُتحَت له تتمثل في انسحاب معظم القوات الإيرانية ومجموعات حزب الله من سورية، إضافةً إلى الموقف الرافض من قبل «هيئة تحرير الشام» لأي علاقة مع حزب الله وإيران، من شأنه أن يضمن عدم بقاء حلقات الاتصال وخطوط الإمداد التي كانت تمر عبر الأراضي السورية، وبالتَّالي هذا فرصة إستراتيجية يمكن البناء عليها مستقبلاً.

٢. تعزيز حرية الحركة العسكرية "الإسرائيلية" في سُورية: تدمير الأسلحة الإستراتيجية للجيش السوري، والتموضع في داخل الجغرافيا السورية انطلاقًا من هضبة الجولان وجبل الشيخ وصولاً

إلى العديـد من القرى التي بات يتواجد بها الجيش «الإسرائيلي» يفتح المجال أمام تعزيز حرية الحركة العسكرية لجيش الاحتلال، وهذا قد يُستَخدم في تنفيذ مهام عسكرية استباقية أو الوصول لأهداف يرى فيهـا جيش الاحتلال أهدافًا مهمة في المستقبل. وبالتـالي بناء قاعـدة معلوماتية اسـتخباراتية انطلاقًا من الوجود الجغرافي وحرية الحركة والعمل داخل الأراضي.

٣. فتح فرص تحسـين الترتيبـات الأمنية على الحدود مع سُـورية: إلغاء اتفاقية فض الاشـتباك ١٩٧٤م والسيطرة على حوالى ٤٤٠ كم من الأراضي السـورية (حتى تاريخ كتابة المقال)، سـيعطي «إسرائيل» الفرصة في تشـكيل الحدود الجغرافية لها مع سُورية، وهـذا بحد ذاته واحدة من الأطـماع «الإسرائيلية» التي ترى وفقًا لنظرية المجال الحيوي أنه يمكنهـا التمدد لتلبية احتياجات نمو الكيان، وبالتالي يكون ذلك على حساب الجغرافيا السورية، وهو مـا صرّح به صراحةً (دونالد ترامب) في حملته الانتخابية، عندما علَّق قائلًا: «إن مساحة إسرائيل صغيرة وتحتاج أن تتوسع قليلًا».

أَبرَزُ التَّحَدِيَات فِي المَنظُور الإِستِرَاتِيجِي "الإسرائيلي":

١. اختـلال الخارطـة السـورية بشـكلٍ مفاجـئٍ وصعود تيـاراتٍ

وجماعـات من المعارضـة ممن ينتمون لتيـارات فكرية جهادية ويتخذون مـن المواجهة مع الاحتلال «الإسرائيـلي» عنوانًا لهم في المرحلـة المقبلـة، وبحكم الوجود العسـكري «الإسرائيلي» في هضبة الجولان أو جبل الشـيخ أو القرى التي احتلها الجيش «الإسرائيلي» يفتـح المجال أمام اسـتهدافات مباشرة ما يحدث تحولاً في معنى المواجهة.

٢. تهديد استقرار دول الجوار، أو دول الطوق للاحتلال «الإسرائيلي»، وخصوصًـا الأردن؛ إذ تخشى مراكز الأبحاث «الإسرائيلية» أنَّ ما جرى في سـورية قد يدفع باتجـاه تعزيز وتطوير تجارة السـلاح عبر الحدود السُّـورية الأردنية، وبالتالي احتماليات وصولها إلى الأراضي الفلسـطينية، وهو ما يشـكل تحديًا كبـيراً في المرحلة المستقبلية.

٣. صحيح أنَّه وفقًا للمنظور «الإسرائيلي» فإنَّ جبهة المقاومة بشكلها التقليدي قد تلقت ضربة أثَّرت عليها، إلا أنَّه قد تسعى الجبهة إلى إعادة ترتيب أوراقها من جديد، وقد تكون السـاحة السورية جزءًا منها لكن بشـكل غير تقليدي، خصوصًا في ظل شـكل وطبيعة التركيبـة المتعـددة المرجعيات السياسـية والفكريـة لجماعات المعارضة السورية.

السِينَارِيُوهَاتُ المُستَقبَلِيَّةُ

لا شـك أنَّ «إسرائيل» اسـتثمرت هذا التحول، إلا أنها أيضا ما تزال ترسم جملـةً من السـيناريوهات في كيفية وشـكل العلاقة المسـتقبلية، أو مآلات الحالة السـورية وطبيعة تأثيراتها وانعكاساتها المسـتقبلية، وهو ما يعني أنَّ الباب سيبقى مفتوحًا أمام احتمالية توقع للعدد من السيناريوهات وفقًا للقراءة «الإسرائيلية»:

أَوَّلًا: الانفِتَاحُ فِي العَلَاقَةِ «الإسرائيلية» مَعَ «الحُكَام الجُدُدِ»: (مُرَجَّح) ترى العديد من الأوساط «الإسرائيلية»، أنَّ عنوان المرحلة المقبلة سوريًّا سيكون الانكفاء على الذات والانشغال بإعادة بناء الدولة والمؤسسات والنظام بشكل مغاير للنظام السابق، إضافة إلى الانشـغال في بناء العلاقات والتوازنات مع العديد من المحاور الإقليمية والدولية، خصوصًا أنَّ هذا النظام الوليد سيكون بحاجة إلى بناء شرعية مقبولـة إقليميًا ودوليًا للحصول على التمويل الكافي لتثبيت أركانه داخليا، وبالتالي سيتجنب الذهاب للخوض في المواقف التي يمكن أن تنهك قدراته، وهذا ينطبق على المواقف التي قد تتخذ حول شكل العلاقة مع «إسرائيل»؛ إذ إن «الحاكم الجديد»، وفقًا لهذه التقديرات، سيكتفي بمخاطبة المجتمع الدولي حول طبيعة الوجود «الإسرائيلي» على الأرض التي احتلها، وهي نصيحة رئيس الوزراء القطري الأسبق (حمد بن جاسم) للنظام الجديد، لذلك، فعلى الأغلب لن يصل إلى مرحلة المواجهة المباشرة، وهذا

بالتالي قد يمثّل واحدة من الفرص التي تمكن «إسرائيل» من استثمار الوضع الجديد لبناء علاقة اتصال مباشرة أو غير مباشرة.

ثَانِيًا: العَلَاقَةُ العَدَائِيَةُ: (مُستَبعَد) في مقابل السيناريو الأول، يأتي الموقف المغاير الذي تعتقد من خلاله أوساط داخل الاحتلال «الإسرائيلي» أنَّ البنية الأيديولوجية والدينية للجماعات المسلحة التي سَتُكَوّن «الحاكم الجديد»، ستمثل خطرًا مستقبليًا على العلاقة مع «إسرائيل»، وبالتالي يجب أن تبقى علاقة العداء قائمة وهي الميزان، وهذا الأمر يتطلب ألا يكون هناك تراجع عن أي من الجغرافيا التي سيطر عليها الاحتلال، أو توجيه الضربات العسكرية، إذ أن المقاربة العسكرية هي المقاربة التي سَتُبنَى عليها العلاقة المستقبلية، هذا يوفر لـ«إسرائيل» مجالاً حيويًا لإبقاء السيطرة والعمل، وكذلك الأمر استخدام هذه الورقة كمبرر مستقبلي، والأهم من ذلك بناء مجال حيوي يمكن أن يتمدد في ظل المتغيرات التي تشهدها المنطقة.

في الختام، إذا ما نظرنا إلى السيناريوهيْن فإن تَبَنّي أيّ منهما يبقى يحمل الفرص والمخاطر وفقا للمنظور "الإسرائيلي"، والعقلية "الإسرائيلية" التي تقوم على مبدأ حسم الملفات في ظل المتغيرات الحالية، ربما تذهب إلى خيار الانتظار بعد فرضها واقعًا جغرافيًا وأمنيًّا مع سُورية، خصوصًا إذا ما ربطنا هذا الملف أيضا بالرؤية الأمريكية؛ فالولايات المتحدة الأمريكية التي تنتظر الرئيس القادم للبيت الأبيض (ترامب) في ٢٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٢٥، هي

الأخرى ما زالت في مرحلة إعادة تركيب المشـهد في الشرق الأوسط، وهذا سيأخذ بعين الاعتبار المصالح الأمريكية "الإسرائيلية" بالدرجة الأولى، لكن ربمـا ضمن عناوين يصعب حتى اللحظة الحسـم بأي اتجاه منها سـتكون. لذلك يبدو أن "إسرائيل" ليسـت في عجلة من أمرها في حسم شكل وطبيعة العلاقـة مع النظام السـياسي الجديـد في سـورية، بانتظـار أن تتضح رؤية (ترامب)، وشـكل وطبيعة توجهاته المسـتقبلية وآليـة تعاطيه مع كل ملفات المنطقة.